انتشار الإسلام في بلاد النوبة ودوره في تشكيل الهوية الثقافية

أ. أسماء أحمد الأحمر
كلية الآداب غريان/ جامعة غريان

المستخلص:

بدأت الصلات الثقافية والسياسية والاجتماعية بين العرب وأفريقيا منذ القدم، حين هاجرت إليها جماعات من العرب عبر البحر الأحمر وباب المندب وسيناء. وقد تعززت هذه الصلات بعد مجيء الإسلام فكانت بشكل عفوي ودون تخطيط من دولة أو كيان رسمي في أغلب الحقب التاريخية، فأدت تلك الصلات إلى قيام نشاطات تجارية، واستيطان أقوام من العرب في بقاع مختلفة من أفريقيا؛ ومن هذه البقاع منطقة سودان وادي النيل (بلاد النوبة) وهو موضوع هذا البحث. إن صلة هذه البلاد بالمشرق الإسلامي تعود إلى عهود قديمة، فقد وفد إليها العرب تجاراً، ومستوطنين عبر الممرات السالفة الذكر (البحر الأحمر، باب المندب، سيناء) وتوغلوا غرباً أي إلى وادي النيل وبلاد النوبة.

من الطبيعي أن يشق الإسلام طريقه إلى شرق القارة ووسطها بجهود التجار المسلمين وعلمائهم الذين كانوا القدوة الحسنة في سلوكياتهم وتصرفاتهم للأفريقي الوثني والمسيحي، فاقتنع بصحة هذه الرسالة التي تنبذ التفرقة العنصرية وتدعو لطاعة الله وتوحيده والتسامح مع الآخر، لقد استطاعت المجتمعات الأفريقية بعد اعتناقها الإسلام أن تكتسب ثقافة جديدة وتصبح لها هويتها الثقافية التي تأثرت بالثقافة العربية الإسلامية، فانتشار الإسلام في سودان وادي النيل أدى إلى الانتشار التلقائي للثقافة العربية الإسلامية واللغة العربية، فكثرت المساجد، وانتشرت الكتاتيب، وبذلك أصبحت الكثير من المدن الأفريقية مراكز للإشعاع الثقافي الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: البقط_ الهوية الثقافية_ بلاد النوبة _ سودان وادي النيل _ علوة.

مقدمة

انتشر الإسلام في بلاد النوبة خلال القرن السابع الميلادي، ليشكل جزءاً حيوياً من الهوية الثقافية والاجتماعية لمنطقة سودان وادي النيل، والمعروف أن انتشار الإسلام في منطقة السودان الشرقي عامة، وسودان وادي النيل خاصة، لم يأت بالقوة، بل كان نتاجاً لوسائل سلمية قام بها_ بصفة أساسية _ التجار العرب والدعاة الذين كانوا يتجولون عبر الصحراء الكبرى، بقصد مقايضة سلعهم بالسلع الأفريقية. وقد نتج عن هذه المرحلة الأولى من التواصل إلى قيام ممالك إسلامية مستقلة، فكان التجار والعلماء والبدو هم دعامة هذه المرحلة، فدخل الإسلام إلى هذه المنطقة وانتشر فيها _ تدريجياً_ بأسلوب الإقناع السلمي.

لقد عُرفت بلاد النوبة بتنوعها الثقافي وتاريخيها العريق، وقد أسهم الإسلام في تعزيز هذا التنوع من خلال الدمج بين العناصر المحلية والتعاليم الإسلامية. وأدت هذه الديناميكية التي مزجت بين التراث النوبي والإسلام في تشكيل الهوية الثقافية لبلاد النوبة وشعوب المنطقة عموماً. وقد برزت آثار هذا التفاعل ما بين التعاليم الإسلامية والثقافات المحلية على مستوى اللغة، إذ تمت إضافة العديد من المصطلحات العربية إلى اللهجات النوبية، كما أدى اعتناقهم للإسلام إلى تغييرات في الأنظمة الاجتماعية والسياسية، وبشكل عام، أصبح الإسلام جزءاً لا يتجزأ من الهوية الثقافية النوبية، وسأقتصر في هذا البحث على تناول انتشار الإسلام في بلاد النوبة وأثره في تشكيل الهوية الثقافية لسودان وادي النيل تاريخياً فيها.

قسمت الدراسة إلى: مقدمة وستة محاور، تناول المحور الأول تاريخ العرب والمسلمين وصلاتهم ببلاد النوبة، كما تناول الهجرات العربية الأولى التي حدثت قبل مجيء الإسلام إلى المنطقة. في حين تناول المحور الثاني معاهدة البقط ودورها في تغلغل الهجرات العربية جنوباً، كما تم عرض لأهم بنود هذه المعاهدة. في حين تطرق المحور الثالث إلى أسباب سقوط مملكة النوبة الشمالية (المقرة) واعتناق سكانها للإسلام. أما المحور الرابع فقد ركز على علاقة بلاد النوبة بالدولة الإسلامية في مصر. وتطرق المحور الخامس إلى زوال مملكة علوة المسيحية وانتشار الإسلام والثقافة الإسلامية في سودان وادي النيل، في حين تناول المحور السادس والأخير دور الإسلام كعامل مكون للهوية الثقافية في سودان وادي النيل والدور الذي لعبه التجار والعلماء المسلمين في نشر الثقافة العربية الإسلامية في تلك المنطقة، وتبعت هذه المحاور خاتمة تضمنت نتائج البحث، وأخيراً قائمة بالمصادر والمراجع التي ارتكز عليها هذا البحث.

إشكالية البحث وأهميته:

تكمن إشكالية البحث وأهميته في دراسة التفاعلات الثقافية والدينية وتأثيرها على هوية المنطقة عبر الزمن، بما يوفر رؤية شاملة لكيفية تأثير الدين الإسلامي على الهوية الثقافية لسودان وادي النيل (بلاد النوبة) بالخصوص، وكيف ساهم انتشار الإسلام في تغير بعض الأنظمة الاجتماعية والسياسية في بلاد النوبة وهي النتائج المترتبة على ذلك؟ وما هو الدور الذي لعبه نشر الإسلام في المنطقة في إثراء التنوع الثقافي؟

أهداف البحث:

1. دراسة كيفية تأثير انتشار الإسلام على تشكيل الهوية الثقافية لشعوب بلاد النوبة سودان وادي النيل.
2. التعرف على تأثير دخول الإسلام على اللغة النوبية وما هي الجوانب الجديدة التي أضيفت للثقافة النوبية.
3. محاولة كشف النقاب على آلية التفاعل بين تعاليم الإسلام والثقافة العربية الإسلامية، والتقاليد النوبية وكيفية ثقافة جديدة في ظل هذا الامتزاج.
4. تسليط الضوء على التغيرات الاجتماعية والسياسية وكيفية تأثرها بالإسلام والنتائج المترتبة عنها.

منهجية البحث:

اتبع في كتابة هذا البحث المنهج التحليلي، بقدر ما هو متوفر من مصادر ومراجع.

أولاً: تاريخ صلات العرب والمسلمين ببلاد النوبة: النشأة والتطور

ترجع صلة سودان وادي النيل بشبه الجزيرة العربية إلى ما قبل ظهور الإسلام بفترة طويلة، ذلك أن البحر الأحمر لم يكن حاجزاً يمنع الاتصال بين شواطئه الآسيوية والعربية وشواطئه الإفريقية، فلم يكن من الصعب اجتيازه بالسفن الصغيرة(عوض،١٩٥١ص٣٨)، هذا فضلاً عن الطريقين الرئيسيين اللذين يصلا شبه جزيرة العرب بأفريقيا وهما طريق سيناء إلى مصر ومنها جنوباً إلى السودان، وطريق باب المندب إلى الحبشة ومنها إلى السودان، إذ نشطت حركة تجارة العاج والذهب والصمغ بين الجزيرة العربية من ناحية وبين موانئ مصر والسودان والحبشة من ناحية أخرى (سعد، 2011،ص107).

ومع ازدياد الهجرات العربية_ قبل الإسلام_ إلى الحبشة، في عهد دولتي سبأ ومعين، توغل العرب غرباً إلى وادي النيل، واستقر بعضهم في أجزاء مختلفة في حوض النيل، ثم تبعهم عدد

من أقاربهم وأهاليهم (المقريزي، 1959،ص191). وتشير بعض الروايات إلى قيام الحميريين بحملات عسكرية في وادي النيل الأوسط وشمال أفريقيا، وأن هذه الحملات قد تركت جماعات استقرت في بلاد النوبة وأرض البجة وشمال أفريقيا، ويبدو أن هؤلاء الحميريين ورثوا حكم هذه البلاد نتيجة للمصاهرة التي تمت بينهم وبين الحكام، فورثوا الملك طبقاً لنظام التوريث بالأمومة الذي يورث ابن الأخت أو ابن البنت (ابن خلدون، 1956،ص176). كما نقل الحميريون أسماء أجدادهم إلى السودان مثل: كوة، دارو، سبأ، ويرى بعض الباحثين أن اسم (سوبا) عاصمة مملكة علوة هو تحريف لكلمة سبأ (فهد، 2002،ص61) ومن العرب الذين انتفعوا بهذا النظام الوراثي جماعة من سكان حضرموت الذين عبروا البحر الأحمر إلى ساحله الأفريقي في القرن السادس الميلادي، ثم اختلطوا بالبجة وكونوا طبقة حاكمة خضع لها هؤلاء البجة، واستطاعوا السيطرة عليهم وقيادتهم. أما الطريق الشمالي وهو طريق برزخ السويس فقد كان له دور مهم في تاريخ العلاقات بين شعوب الجزيرة العربية وشعوب وادي النيل منذ القدم، ولم تنقطع هذه الصلات إذ طبعت اللغة المصرية القديمة بالطابع السامي (سعد، 2011،ص115).

وإذا كانت هذه الجماعات العربية قد تركت بعض آثارها في البلاد التي وصلت إليها قبل ظهور الإسلام، فإن الهجرات العربية الكبرى التي أعقبت ظهور الإسلام تركت دماء عربية نشرت لغتها العربية ودينها الإسلامي.

تعتبر التجارة الوسيلة الأولى التي انتشر الإسلام من خلالها إلى القارة الأفريقية، فقد تعددت القنوات والطرق في وقت قصير. ومع تعددها دخلت في الإسلام جماعات من قبائل شتى وفئات مختلة ومناطق متعددة متباينة جغرافياً واجتماعياً، ومما ساعد في تعدد تلك القنوات والمسارب هو أن مناطق أفريقيا خارج أرض الخلافة كانت على صلة وثيقة بأرض أفريقيا داخل الخلافة والجزيرة العربية بشرياً وثقافيا وتجارياً قبل ظهور الإسلام بقرون، ثم جاء الإسلام وقوى تلك الصلات (ضيدان، 1993،ص97).

لقد صحب اتصال العرب بالنوبيين دخول لون جديد من الثقافة إلى بلاد النوبة، فصبغ سكانها بصبغة جديدة، وطبعهم بطابع خاص ومختلف عن الطابع القديم الذي اتصف به المجتمع النوبي في العهد المسيحي، فهذه الثقافة الجديدة هي الثقافة العربية الإسلامية (سعد، 2011،ص113). فقد كانت لدى العرب المسلمين الإمكانيات التي سهلت لهم نشر الدين الجديد عن طريق البحر واستغلوا الطرق البحرية التي ساعدتهم في نشر الإسلام حتى جزر الهند الشرقية، ومن أهم الطرق التي نفذ الإسلام من خللها إلى القارة الأفريقية وبلاد النوبة خاصة، هي: طريق النوبة ودنقلة وذلك بعد الفتح الإسلامي لمصر ولم تكن السودان بلاداً مجهولة للعرب فقد كان نهر النيل الطريق التجاري لهم، على الرغم من وقوف مملكة النوبة المسيحية حائلاً دون

هؤلاء الفاتحين والمهاجرين. ولم يكن العرب المهاجرين تجاراً فقط بل كان فيهم المتنقل سعياً وراء المراعي الخصبة والماء والكلاء، فوجدوا في أرض السودان المترامية ما ينشدونه، وسرعان ما اختلطوا بالشعوب والأقوام التي وصلوها وقد ساعدهم على ذلك طبيعة السودان المشابهة لطبيعة بلادهم (ضيدان، 1993،ص98).

وقد ساعد وجود كيان سياسي قوي في مصر بعد فتحها على الهجرة، إذ أرسل عمرو بن العاص سنة 21هـ/ 641م (ابن عبد الحكم،د.ت،ص169) حملة بقيادة عقبة ابن نافع لتأمين مصر من ناحية الجنوب، وتأمين طريق التجارة بين مصر ومملكة المقرة المسيحية في بلاد النوبة شمال السودان، وقد قام القائد عبد الله بن سعد بن أبي السرح بمحاولة لفتح مملكة المقرة سنة 31هـ/ 652م بعد أن نقض النوبيون عهد الأمان الذي أعطاه عمرو بن العاص لأهل مصر، ووصل حتى دنقلة، ثم عقد معهم صلحاً عرف باسم (البقط) ليظل الطريق مفتوحاً_ خلال مملكة المقرة_ إلى الجنوب حيث توجد مملكة علوة، لضمان استمرار الصلات بين العرب في مصر والعرب في مملكة علوة (فهد، 2002،ص63).

أما فيما يخص البجة فإن عبد الله بن سعد لم يعقد معهم معادلة أو صلحاً، لذلك أغاروا على صعيد مصر سنة 106هـ/ 725م فصالحهم ابن الحبحاب، والي مصر الأموي، وكتب لهم عقداً (ابن عبد الحكم، د. ت،ص189) وعندما عادو للإغارة على أسوان جرد لهم الخليفة المأمون حملة بقيادة عبد الله بن الجهم وانتهى الأمر بعقد صلح جديد بينهم وبين ملكهم (كنون بن عبد العزيز) كان من شروطه أن تكون بلاد البجة من أسوان إلى مصوع ملكاً للخليفة، وأن يؤدي ملك البجة الحراج كل عام 100من الإبل م300 دينار لبت المال، وأن يحترموا الإسلام ولا يذكروه بسوء، وألا يهدموا شيئاً من المساجد التي بناها المسلمون وكذلك ((أنه إذا دخل مسلم من بلادهم للإقامة أو التجارة أو الحج فهو آمن)) (المقريزي،1959،ص195).

كانت بلاد البجة أول من استقبل التجار العرب سواء عن طريق البحر الأحمر أو عن طريق سيناء ثم اتجهوا جنوباً، فقد استطاع عرب ربيعة وضع النواة الأولى لإمارة عربية إسلامية بزعامة أبي مروان بن بشر بن إسحاق، وهي الإمارة التي انتقل مقرها فيما بعد إلى أسوان، حيث يقيم فرع آخر لبني ربيعة وهم بنو كنز، وقد خضع لهم النوبيون من أهل مريس (النوبة الشمالية) خاصة بعد دخول معظمهم إلى الإسلام (سعد، 2011،ص134). وقد اتسم عهد الفاطميين في مصر (969_1171م) بقيام علاقات ودية بين مصر وبلاد النوبة، واعترفت الدولة الفاطمية بالإمارة العربية في أسوان، وفي عهد الدولة الأيوبية أرسل السلطان صلاح الدين الأيوبي جيشاً إلى كنز الدولة وأصحابه هزمهم الملك العادل سنة 750هـ/ 1323م (أمين، 1975،ص61)،

فنقلوا مركز نشاطهم إلى الجنوب من بلاد النوبة ثم عاد بنو كنز ليفرضوا سيطرتهم على أسوان بعد عام 790هـ حتى عام 815هـ (المقريزي،1959،ص199).

وبسقوط مملكة المقرة المسيحية على يد بني كنز أولاً وجهينة ثانياً أصبحت هاتان القبيلتان من أكبر القبائل التي هاجرت إلى السودان الشرقي، كما أن (بني عرك فرع من جهينة) قد أقلقوا مضاجع المماليك في صعيد مصر حتى اضطروهم للهجرة جنوباً. فاستقروا فيما بين صعيد مصر والحبشة، وهكذا اعتلى بنو كنز سدة الحكم في بلاد النوبة سنة 723هـ/ 1323م معتمدين على نظام الوراثة من ناحية الأم، فانتقلت السلطة من داخل الأسرة الحاكمة من فرع مسيحي نوبي إلى فرع عربي مسلم وبسقوط مملكة المقرة المسيحية على أيدي المسلمين تدفقت القبائل العربية في حوض النيل الأوسط حاملة معها المؤثرات العربية الإسلامية إلى المنطقة (فهد، 2002،ص66).

ويمكن القول أن انتشار الإسلام في بلاد النوبة كان بطيئاً، وثم من خلال التأثيرات الثقافية والتجارية في البداية، ومع مرور الوقت حدث امتزاج ثقافي وتبادل اقتصادي بين النوبيين والعالم الإسلامي، ومنها بدأت أعداد كبيرة في اعتناق الإسلام مما ساهم في تعزيز مكانة في المنطقة، والدمج بين الثقافة العربية الإسلامية والتراث النوبي.

ثانياً: معاهدة البقط ودورها في تغلغل الهجرات العربية جنوباً:

يتمثل أول اتصال للعرب المسلمين في مصر بسكان شمال السودان (مملكة المقرة) في فرقة الفرسان التي أرسلها عمرو بن العاص سنة 21هـ/ 641م بقيادة عقبة بن نافع لتأمين أطراف مصر الجنوبية، وتأمين طرق التجارة بين البلدين (ابن عبد الحكم، د.ت،ص93)0. ونتيجة لهذا الفتح فقد تدفقت القبائل العربية على مصر واختلطوا بسكانها، ودخل عدد كبير منهم في الإسلام، وكانت لسياسة التسامح ومبادئ المساواة وغيرها من المبادئ التي نادى بها الإسلام أثرها في انتشاره بين قبط مصر، وقد أتى لمصر عدد من الصحابة حيث بنوا بيوتهم بمدينة الفسطاط التي أسسها عمرو بن العاص والتي ظلت قاعدة الديار المصرية، ومقراً للإمارة حتى بنيت العسكر، وقد انتشرت اللغة العربية في مصر حتى أصبحت لغة العامة والخاصة حتى أن الكثير من الطقوس الدينية في الكنائس القبطية في مصر أصبحت تؤدي باللغة العربية (الجمل، 1994،ص112).

وقد جاء ذكر النوبة لأول مرة في وثيقة عربية إسلامية وهي عهد الأمان الذي أعطاه عمرو بن العاص لأهل مصر فجاء فيه: ((ومن دخل في صلحهم من الروم والنوبة فله مثل مالهم وعليه مثل ما عليهم))، وجاء فيها أيضاً: ((وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً، وكذا فرساً، على ألا يغزوا ولا يمتدوا من تجارة صادرة ولا واردة)) (الطبري،

1979،ص461)، ولكن ما إن غادر عمرو بن العاص مصر وخلفه عبدالله بن أبي السرح حتى نقض النوبيون العهد وكان لزاماً على الوالي الجديد أن يجر لهم جيشاً يتوغل هذه المرة في مملكة المقرة حتى عاصمتها دنقلة في سنة 652م، وأحكم الحصار حولها ورماها بالمنجنيق حتى طلب حاكمها الصلح، وثم عقد الصلح وعرف باسم (البقط) وهي كلمة ليست عربية، ويرى بعض الباحثين أن مضمون هذه الكلمة يحتمل عدة معاني: اذ ربما تعني (بك) وهي كلمة فرعونية لمدلول العبودية، وقد تعني أيضاً الكلمة اللاتينية Paetum التي تعني الاتفاق (سعد، 2011،ص471).

أما أهم ما جاء في هذه المعاهدة فهو منح الأمان للنوبيين، وأن يدخل النوبيون بلاد المسلمين مجتازين غير مقيمين فيها. وعلى النوبة حفظ من نزل بلادهم من المسلمين أو المعاهدين حتى يخرج منها، وعليهم رد كل آبق دخل بلادهم من عبيد المسلمين، وعليهم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمين بدنقلة وألا يمنعوا عنه مصلياً، وأن يدفعوا في كل سنة ثلاثمائة وستين رأساً من أواسط رقيقهم (شبيكة، 1964،ص30)، غير أن هذه المعاهدة قد أثارت جدلاً فقهياً بين علماء المدينة وفي مقدمتهم الإمام مالك بن أنس الذي استنكرها ووصفها بعدم الشرعية خاصة فيما يتعلق بالرقيق فهو يرى أن لبلاد النوبة وضع خاص، فهي دار معاهدة وأمان لذا يجب أن لا يخضع أهلها للرق، غير أن علماء مصر ردوا على هذه الانتقادات مشيرين إلى أن علماء المدينة لم يكونوا مدركين أو ملمين بأمور المنطقة وكيفية التعامل معهم (شبيكة، 1964،ص31). لأن أرقاء معاهدة البقط كانوا يلحقون بجيوش المسلمين محاربين لا مستبعدين. وقد استمرت علاقة الدولة الإسلامية بمملكة المقرة المسيحية نحو ستة قرون على أساس هذه المعاهدة.

ومهما يكن من الأمر فإن معاهدة البقط فتحت الباب أمام الهجرات العربية لاجتياز (مملكة المقرة) دون الإقامة بها_ في طريقها إلى السودان الأوسط (مملكة علوة) (أمين ب، 1975،ص199). بينما مع البجة أصبحت للهجرات العربية مكاناً للاستقرار فيما بين حد مصر شمالاً وحتى مصوع جنوباً، وبهذا أصبح الباب مفتوحاً للإسلام والثقافة العربية للتوغل وسط السودان وحتى حدود الحبشة، وعلى الرغم من أن الهجرات العربية إلى بلاد النوبة كانت تحكمها نصوص معاهدة (البقط) التي سمحت للعرب المسلمين باجتيازها دون الإقامة بها، فإن بعض الجماعات العربية من عرب قحطان وقريش وربيعة الذين سكنوا أسوان، قد تقدموا من أسوان جنوباً إلى المنطقة الشمالية من مملكة المقرة المعروفة باسم (المريس) حيث اشتروا أراضي من النوبيين استغلوها لصالحهم (المسعودي، 1981،ص41). ومنذ أوائل القرن الثامن الهجري- الرابع عشر الميلادي استقرت جماعات عربية في بلاد النوبة عقب انسحاب القوات المملوكية

منها، ومن هذه الجماعات بني بكر، وبني عمر، وبني شيبان، وبني هلال وغيرهم (ابن خلدون، 1956،ص91).

وهكذا فإن انتشار العرب في السودان قد اكسبه النسب العربي، والدم العربي واللغة والثقافة العربية، فقد كانت هذه القبائل أداة لنشر الثقافة العربية في أرجاء سودان وادي النيل فيما بين ساحل البحر الأحمر شرقاً حتى منطقة تشاد غرباً، ومن حدود مصر شمالاً حتى المنطقة الاستوائية جنوباً. كما ارتبط سودان وادي النيل كدولة كبرى في القارة الأفريقية بالكتل العربية الأفريقية في الساحل الشرقي لأفريقيا، ومصر، والمغرب العربي، ومثل السودان حلقة الوصل بين العروبة وباقي الدول الأفريقية، سواءً من النواحي الاقتصادية أو الثقافية.

ثالثاً: أسباب اعتناق مملكة النوبة الشمالية (المقرة) للدين الإسلامي:

يعد قيام دولة المماليك في مصر عام 678هـ/ 1260م عامل من عوامل توسع المد العربي الإسلامي في بلاد النوبة. وبسبب الثورات المناهضة للحكم المملوكي في مصر في عهد الظاهر بيبرس هاجرت العديد من القبائل إلى السودان فراراً من البطش المملوكي وهناك انصهرت هذه القبائل العربية مع السكان المحليين (ترمنقهام،1949،ص617).

لقد حرص المماليك على اخضاع بلاد النوبة لتأمين ميناءي عيذاب وسواكن وحماية طرق القوافل التجارية، وذلك بهدف انعاش صلات المماليك الاقتصادية بالعالم الخارجي في فترة وجود الصليبين في بلاد الشام. خاصة وأن احتلال الصليبين لبلاد الشام قد حول طريق سيناء إلى ميناء عيذاب فنشطت حركة الحجيج في هذا الميناء، مما ساعد على توافد هجرات عربية إلى داخل سودان وادي النيل، وكان لامتداد بلاد النوبة في هذه الموانئ تحدٍ واضح لمملكة المقرة المسيحية التي تم عزلها عن العالم الإسلامي (فهد، 2002،ص65).

وأمام هذا الوضع تجددت غارات النوبة على صعيد مصر وميناء سواكن وعيذاب وقتلوا عدداً من أهلها. فقام السلطان بيبرس في سنة 672هـ/ 1273م بإرسال حملة تقدمت حتى وصلت إلى دنقلة، فتقهقر (الملك داود) حاكم بلاد النوبة المسيحية جنوباً حتى لا تناله يد المماليك وعادات الحملة بعدد من الأسرى، ورأى بيبرس أن يستغل النزاع في البيت الحاكم النوبي حين قدم إلى القاهرة (شكندة) متظلما من خاله داود الملك لأنه ادعى أنه أخد الملك منه فجهز بيبرس جيشاً وسار معهم شكندة، وتمكن المماليك من هزيمة داود وجيوشه، ودخل شكندة إلى دنقلة وتم تتويجه ملكاً للنوبة بنفوذ وسلطة الجيش المملوكي وكانت هذه بداية الحماية المملوكية على مملكة المقرة إذ لم يحاول المماليك ضم البلاد إلى أملاكهم بل اكتفوا بأن يكون الجالس على العرش من اختيارهم على أن يرتبط معهم بعهد يقطعه على نفسه ومعه شعبه (شبيكة، 1964،ص43).

وقد استمرت حملات المماليك على بلاد النوبة لمحاولة اخضاعها، فقاموا بتنصيب أمراء نوبيين حيث أنهم اعتنقوا الإسلام أثناء وجودهم في مصر ومن بينهم عبد الله برشنبو، وهو من النوبيين المستعربين الذين درسوا في الأزهر وحسن إسلامه، فتم اصطحابه في إحدى الحملات ونصب على عرش المقرة سنة 737هـ/ 1317م. وهكذا آل الملك في نهاية الأمر إلى أسر مسلمة (ترمنجهام، 1949،ص619)، ويعزو بعض المؤرخين تحول مملكة المقرة إلى الإسلام إلى أن المسيحية بقيت دائماً في سودان وادي النيل ديناً أجنبياً لم يتكيف مع البيئة السودانية وأنماطها كما هو الحال بالنسبة للإسلام، كما أن حكام النوبة اهتموا بمصالحهم الشخصية وساعدوا في إضعاف الأمن الداخلي (حسن، 1972،ص19).

ويمكن القول إن دخول مملكة النوبة الشمالية (المقرة) إلى الإسلام جاء نتيجة لتفاعل عوامل داخلية وخارجية معقدة ومن بين هذه العوامل:

1. الظروف السياسية في مصر وفي الدولة الإسلامية عامة فقد شجعت على مزيد من الهجرات إلى الجنوب.
2. منذ أن حكم مصر ولاة من غير العرب كالدولة الطولونية وغيرها فضل الكثير من العرب الهجرة نحو الجنوب.
3. ضعف ملوك النوبة، وضعف الترابط بين مملكتي النوبة العليا والسفلى.
4. التدهور الاقتصادي الذي أصاب بلاد النوبة نتيجة للحروب المستمرة.
5. السبب الأهم أنهم كانوا مقتنعين بهذا الدين الجديد_ الدين الإسلامي _ ومبادئه وقيمه.

"ختاماً"، فإن التحول إلى الإسلام لم يكن مجرد نتيجة لحملات عسكرية فحسب، بل كان نتيجة للتفاعل الثقافي والاقتصادي بين هذه البلاد والعالم الإسلامي، وبمرور الوقت، أصبحت القيم والمبادئ الإسلامية جزءا من النسيج الثقافي للمجتمع النوبي، فكان من الطبيعي أن يساعد هذا الدمج بين الدين الجديد الذي دخل المنطقة_ الدين الإسلامي_ وبين التراث المحلي في تحقيق الاستقرار في المنطقة.

رابعاً: علاقة بلاد النوبة بالدولة الفاطمية في مصر:

لقد حرصت الدولة الفاطمية على إقامة علاقات وطيدة مع بلاد النوبة وخاصة في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، فقد استهل قائده جوهر الصقلي صلاته بملك النوبة وذلك بإرسال بعثة على رأسها الداعية أحمد الأسواني ليدعو ملك النوبة للإسلام والالتزام بمواصلة دفع البقط للدولة الإسلامية فوافق الملك النوبي (جورج) على الالتزام بالمعاهدة لكنه احجم عن الدخول في الإسلام (المقريزي، 1959،ص198)، وقد لاحظ الأسواني خلال إقامته في العاصمة دنقلة أن كثيراً من النوبيين قد اعتنقوا الإسلام،ودخلت لغاتهم مفردات كثيرة من اللغة

العربية، كما أن المسلمين توغلوا داخل الأراضي السودانية حتى إقليم مملكة علوة لغرض التجارة حتى أنه أصبح لهم رباط خاص فكان عهد الفاطميين بأكمله عهد ود ومصالحة مع النوبة (شبيكة، 1964،ص199). واستمرت هذه العلاقات الحسنة حتى نالت النوبة المستعربة من بني كنز على اعتراف الدولة الفاطمية بالإمارة التي أسسوها في جنوب السودان، إذ أطلق الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله على أميرهم لقب (كنز الدولة) وعرفت إمارتهم (بإمارة الكنوز) ولعل انعزال الفاطميين عن العالم الإسلامي جعلهم يتطلعون لكسب أهالي النوبة، فقد وفدت أعداد كبيرة من النوبيين خلال حكم الفاطميين إلى مصر وذلك للعمل في الجندية، فتأثرت هذه المجموعات بالعرب والإسلام.

ولكن هذه العلاقات ما لبثت أن ساءت في عهد الأيوبيين لأن جند السودان حاولوا إقصاء صلاح الدين من الوزارة في عهد الخليفة العاضد الفاطمي، وفشلت محاولتهم فقام صلاح الدين بإرسال أخوه توران شاه بجيش لغزو بلاد النوبة (المقريزي، 1959،ص199). ثم اقتطعها لأحد أمرائه، فثار كنز الدولة وهجم بجيشه على والي صلاح الدين وقتله، وكانت هناك حركة في مصر ترمي لإعادة الدولة الفاطمية ويعتقد أن كنز الدولة كان على اتصال بزعماء هده الحركة. وتمكن صلاح الدين من القضاء عليها في مصر وأرسل أخاه العادل بجيش إلى أسوان فهزم كنز الدولة وقتله، ونتيجة لذلك تعرضت الفئات النوبية في الجيش المصري إلى التسريح وحلت محلها عناصر كردية تركية بعد ما كان النوبيون يمثلون العمود الفقري للجيش الطولوني والأخشيدي والفاطمي (شبيكة، 1964،ص41).

والواضح أنه ومع رجوع هذه العناصر النوبية من مصر إلى ديارها عملت على نشر العروبة والإسلام في تلك البقاع مما مهد الطريق لزوال مملكة المقرة المسيحية في عهد المماليك، ومما ساعد أيضاً على تدفق العرب المهاجرين إلى بلاد النوبة، وكان من أكبر هذه الهجرات جماعات من عرب جهينة اتجهت إلى مملكة علوة، حيث أسست فيها مدينة آبجي (أمين أ، 1975،ص201)، ويرجع الفضل إلى هذه الجماعات العربية في القضاء على كثير من المظاهر التي امتازت بها المملكة النوبية المسيحية، فلم تعد اللغة النوبية لغة الكتابة، كما زالت المباني التي امتاز بها الفن المعماري المسيحي (سعد، 1960،ص203). والواقع أن الجماعات العربية التي وفدت على سودان وادي النيل كانت تتقاسمها ثلاث مجموعات كبرى هي مجموعة الجعليين، ومجموعة جهينة، ومجموعة الكواهلة.

أما مجموعة الجعليين فهي أكثر المجموعات العربية نفوداً وأكثرها عدداً، وهي تنتسب إلى جد أكبر اسمه إبراهيم ولقبه (الجعل)، ويبدو أن هذه المجموعة خليط من عدة قبائل تنتسب إلى عدنان، ولكنها تنتهي إلى جد مشترك. وقد استقرت هذه الجماعة على ضفاف النيل فيما بلاد

النوبة وموقع الخرطوم الحالي، ومن هذا المركز انتشرت إلى النيل الأزرق، والنيل الأبيض وجنوب الخرطوم، ونحو الغرب إلى كردفان، مما يدل على أن هذه المجموعة دخلت إلى السودان من الشمال عن طريق وادي النيل (محمود، 1958،ص304).

أما مجموعة جهينة فهي تلي في العدد والانتشار مجموعة الجعليين، وهي قبائل قحطانية وفدت إلى مصر في بداية الفتح الإسلامي، ثم تسربت إلى أوطان البجة وبخاصة في أوائل القرن الثامن الهجري واتخذت هذه المجموعة من شرق السودان مركزاً لها، ومنه انتشرت بعض فروعها غرباً حتى وصلوا إلى بلاد برنو(محمود، 1958،ص306).

ونزلت مجموعة الكواهلة في عطبرة والنيل الأزرق، كما نزل فرع منها حول النيل الأبيض، وآخرين استوطنوا كردفان، حيث أنهم دخلوا السودان من الشرق، ووصلوا إليه من الجزيرة العربية مباشرة، واستوطنوا المنطقة الساحلية من سواكن إلى عيذاب (حسن، 1980،ص228).

وفي ختام الحديث عن علاقة بلاد النوبة بالدولة الإسلامية في مصر، فإنه يمكننا القول أن هذه العلاقة كانت مليئة بالتفاعلات السياسية والاقتصادية والثقافية، فقد لعبت بلاد النوبة دوراً مهما في تاريخ مصر، كما أن الدين الإسلامي ساهم في تشكيل الهوية النوبية، إذ كانت بلاد النوبة نقطة التقاء للثقافات مما أثرى التنوع الثقافي في المنطقة.

خامسا: انتشار الإسلام والثقافة العربية في بلاد النوبة (زوال مملكة علوة المسيحية) :

بنهاية مملكة المقرة المسيحية تصدع الحاجز السياسي الذي يعوق تدفق الهجرات العربية بصورة جماعية للسودان ويلاحظ أن القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين قد شهدا موجة من الهجرات العربية المكثفة لم يتعرض لمثلها السودان من قبل، ويرجع سبب ازدياد الهجرات العربية الوافدة من مصر في المقام الأول إلى تعرض القبائل العربية للضرائب الباهظة من الحكام، وتفشي المجاعات والأوبئة في الفترة المملوكية، فضلاً عن ضعف ملوك النوبة وضعف مملكتي النوبة والمقرة، وكذلك تعرض مملكة المقرة لحملات سلاطين مصر المتتالية على بلاد النوبة مما أدى إلى تدهور اقتصادها نتيجة للحروب المستمرة (شبيكة، 1964،ص45).

وقد كان تغلغل القبائل العربية وانتشارها في السودان سلمياً، ولا يوجد أي مصدر يشير إلى إجبار السكان المحليين إلى اعتناق الإسلام بالقوة، كما لم يذكر عن العرب الوافدين أنهم قاموا بإهلاك أهل الديار، أو إجلائهم عنها، وإنما أشير إلى تفاعلهم معهم عرقياً وحضارياً واستمرار التداخل بينهم بالتصاهر والانصهار (سعد، 2011،ص134) وقد كان له الأثر الأكبر في نشر الإسلام والثقافة العربية في المنطقة، وفي هذا الصدد يشير ابن خلدون إلى أن معظم المجموعات التي هاجرت إلى سودان وادي النيل كانت من بطون جهينة التي انتشرت في كل

مكان حيث استفاد أبناؤها من النظام الأموي السائد في السودان وورثوا الحكم في النوبة عن طريق أمهاتهم النوبيات على طريقة الأعاجم في تمليك الأخت وابن الأخت (ابن خلدون، 1956،ص178).

أحاطت مجموعات عربية بالعاصمة سوبا على طول النيل الأزرق في مدينة أربجي الأمر الذي أدى إلى إضعاف الروح المعنوية والعقائدية للأقلية الحاكمة في سوبا لاسيما أن كنيسة علوة المسيحية أصبحت معزولة عن علاقتها الروحية بكل من الإسكندرية والحبشة، وعلى الرغم من أن العوامل الداخلية التي عجلت بنهاية علوة لم تكن معروفة بالضبط فإن تلاشيها جاء على يد التحالف السناري الذي جمع بين عمارة دنقس ملك الفونج وبين عبدالله جماع زعيم قبيلة القواسم العربية فتمكن الفونج الذين يدعون النسب الأموي، وأحفاد جهينة العبد اللاب الذين ينتمي إليهم عبدالله جماع من هزيمة جيش علوة سنة 910هـ/ 1504م في آربجي (سعد، 2011،ص135). معلنين بذلك نهاية مملكة علوة المسيحية لتحل محلها مملكة إسلامية هي (الدولة السنارية) والتي تعرف بمملكة الفونج، وقد نشأت على أنقاض الممالك المسيحية وامتدت من الشلال الثالث شمالاً إلى حدود الحبشة جنوباً. وبذلك فقد سيطرت على مساحة واسعة من سودان وادي النيل (حسن، 1990،ص153).

وبعد أن وطد الفونج ملكهم بزعامة العبد لاب، خلف ذلك نوعاً من الاستقرار والوحدة السياسية مما ساعد على نشر الثقافة الإسلامية، فهاجر بعض السودانيين يطلبون العلم من مصر وبلاد الحجاز كما وفد بعض العلماء والفقهاء إلى بلاد السودان الشرقي وأنشأوا المدارس والزوايا لتعليم القرآن الكريم والفقه فازدهرت بذلك الثقافة العربية الإسلامية في ظل هذه الدولة (فهد، 2002،ص70).

ويمكن القول أن هذه المرحلة التاريخية قد عكست قدرة الشعوب على التكيف والتفاعل مع المتغيرات، فانتشار الإسلام في المنطقة لم يكن مجرد تحول ديني فقط، بل شهدت المنطقة أيضاً تفاعلاً تجارياً وثقافياً، حيث اندمجت العناصر العربية مع التقاليد المحلية مما نتج عنه تنوع ثقافي غني، فزوال مملكة علوة المسيحية وانتشار الإسلام والثقافة العربية في سودان وادي النيل يعد تحول تاريخي كان له تأثيرات عميقة على الهوية الثقافية والدينية للمنطقة، وفتح المجال لهوية جديدة أساسها القيم الإسلامية والثقافة العربية.

سادساً: الإسلام كعامل مكون للهوية الثقافية في بلاد النوبة ودور التجار والعلماء في نشر الثقافة العربية الإسلامية :

لقد شكلت العلاقات التجارية بين العرب والأفارقة البدايات الأولى لانتشار اللغة العربية في أفريقيا قبل ظهور الإسلام، وقد تمت هذه الصلة وتطورت بعد ظهور الإسلام بشكلها السلمي،

وامتدت على أيدي العلماء والفقهاء المسلمين، فالتجارة من الضروري أن تلازمها لغة التخاطب بين البائع والمشتري كما تشكل أداة للصلة والتفاهم وتوطيد العلاقة بينهما، وبما أن اللغة العربية كانت أرقى اللغات المحلية فمن الطبيعي أن يلتقطها التجار والأهالي ومن يحيط بيهم من إخوانهم التجار العرب وينشرونها فيما بينهم، فهذه العلاقة التجارية هي التي وضعت حجر الأساس للغة العربية في أفريقيا (ضيدان، 1993،ص124).

ومن وجهة نظري أن التجار الذين وفدوا إلى هذه المناطق قبل وصول الإسلام إليها كانوا يقيمون فيها لمدة قد تطول أحياناً، لذا كانوا مضطرين للاستقرار في تلك المناطق. وقد أدى هذا الاستقرار بطبيعة الحال إلى الاختلاط بالوطنين الأفارقة في الأسواق والقرى والمدن، بل إن الكثير من أولئك التجار قد تزوجوا من تلك القبائل حتى ظهر عنصر جديد يتقن اللغة العربية إلى جانب لغته الأفريقية، فوجدت جماعات إسلامية عربية التطلع أفريقية الوجود، ولم يكن هؤلاء التجار كلهم طلاب ربح ومال، بل كان فيهم الفقهاء والعلماء الذين طلبوا تجارة الدنيا والأخرى معاً، وقاموا بدور مهم في نشر الإسلام داخل القارة والتحق الكثير منهم بمجالس الملوك وقدموا للأمراء والسلاطين المشورة، وحببوا إليهم الإسلام.

إن الإسلام قد شق طريقه إلى أفريقيا بوسيلة الإقناع ودعوة العلماء والفقهاء، فضلاً عن القدوة التي قدمها التجار والمستوطنين العرب. وقد اختلفت أساليب هؤلاء حسب البلاد التي حلوا بها كأن تبدأ الدعوة بالحكام أو رؤساء القبائل الأفريقية. أو تبدأ بالقاعدة أي الرعاة والفلاحين من السكان ثم تنتهي بدخول القبيلة في الإسلام، أو عن طريق المصاهرة بين المستوطنين العرب والأفارقة وحصول وراثة لرئاسة القبيلة عن طريق وراثة الأم التي كانت سائدة في أغلب القبائل الأفريقية (فهد، 2002،ص74). وهي قاعدة كانت متبعة في هذه المجتمعات، وقد أكد ذلك القلقشندي بقوله: ((على قاعدة العجم في تمليك البنت وابن البنت)) (القلقشندي، 1987،ص294).

لقد أحدث الإسلام تطورات كبيرة في حياة الأفارقة وعاداتهم وتقاليدهم حيث اختفت العديد من عادتهم الوثنية بتغلغل الإسلام للمنطقة، وقد أشار ابن بطوطة إلى الكثير من الأفعال الحسنة التي انتشرت في بلدان ما وراء الصحراء بفضل تمسك السكان بمبادئ الإسلام، حيث يقول: ((فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم، فهم أبعد الناس عنه، وسلطانهم لا يسامح أحداً في شيء منه، ومنها شمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب، ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان...)) (ابن بطوطة، 1964،ص690).

فالوجود العربي الإسلامي في بلاد النوبة لم يظل مقتصراً على المناطق الشمالية، بل ظل يمتد على الدوام، ويتوسع جنوباً مع كل ركب نازح، أو هجرة لقبيلة ما أو جماعة من المسلمين،

يدفعهم إلى ذلك داعي نشر العقيدة الإسلامية، بالإضافة إلى دوافع أخرى سياسية واقتصادية، وانفتحوا على السكان الأصليين من أهل النوبة، والبجة، والزنج، وغيرهم، فصاهروهم وأحدثوا مؤثرات كبرى في حياة النوبيين، بما حملوه معهم من دعوة ولغة، ونظام حياة، وقد قويت شوكتهم في تلك البلاد (سعد، 2011،ص114).فمن أهم وسائل انتقال الثقافة العربية الإسلامية إلى بلاد النوبة_ كما أسلفنا_ هي: التجارة والتجار، فقد ضمنت معاهدة (البقط) للمسلمين فتح بلاد النوبة للتجارة، والسماح لتجارتهم بارتياد البلاد على ألا يقيموا فيها، فكان التجار من أهم وسائل نشر الثقافة الإسلامية؛ وعلى أثر تلك المعاهدة توغل التجار إلى أعماق بلاد النوبة، واستطاعوا نشر ثقافتهم وأمور حياتهم الدينية والدنيوية بين الوطنيين الأفارقة.

وهذا لا يعني أن الثقافة الإسلامية قد قضت تماماً على الموروثات الثقافية النوبية؛ إذ أن ما حدث كان نوعاً من التأثير الثقافي من حضارة قوية وافدة على حضارة ضعيفة، تتخللها بعض الموروثات من العادات والتقاليد الوثنية الضاربة في أعماق البلاد؛ لذلك لم تتخلى النوبة عن كل ماهو قديم، بل اعتبروه تراثا يجب حفظه والدفاع عن بقائه، فالإسلام لم يطلب من الذين اعتنقوه وأقبلوا عليه التخلي عن كل موروثاتهم القديمة ما دامت لا تتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي (الأمين، 1967،ص17)، ومن مظاهر انتشار الثقافة الإسلامية وسط النوبين اتخاذهم للأسماء العربية، وتسميتهم بها فتتحدث المصادر عن أن حاكم إقليم الجبل النوبي اسمه قمر الدولة كشي، وعن بعض علماء المسلمين من النوبة؛ مثل: يزيد بن ابي حبيب، وذي النون المصري، النوبي الأصل (سعد، 201،ص116)، وغيرهم ممن تسموا بالأسماء العربية.

مما سبق يتضح لنا، أن كثيراً من القبائل النوبية التي اعتنقت الإسلام قد تخلت عن عاداتها وتقاليدها الوثنية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: الانتساب إلى الأم بدل الاب، وتقديس الأرواح، وعبادة الأوثان، والسحر والشعوذة، فتم استبدال كل هذه العادات بعادات إسلامية، كالإيمان بالله الواحد الأحد وأداء الصلاة ونشر العدل، ونبذ التعصب القبلي، فالعديد من التقاليد والشعائر الإسلامية قد حلت محل الطقوس الأفريقية، وذلك بفصل الامتزاج الثقافي والاجتماعي الذي شهدته المنطقة خلال هذه الفترة.

وإذا ما أردنا التحدث على دور العلماء والفقهاء في نشر الثقافة الإسلامية في بلاد النوبة خاصة والجزء الشمالي من السودان الشرقي عامة فيجب علينا أن نعلم بأنه وبعد تدفق الهجرات المتتالية للقبائل العربية في بلاد السودان الشرقي، وانتشار الإسلام والثقافة العربية ظهرت العديد من السلطنات الإسلامية ما بين القرن الخامس عشر ومنتصف القرن السابع عشر وهي: ممالك العبد اللاب، والفونج، وتقلى، والفور، ومملكة سنار. وقد أصبحت هذه الممالك حامية وراعية لجهود الفقهاء والعلماء لنشر الثقافة الإسلامية بين الوثنين الأفارقة، كما كان لهذه الممالك الدور

الأبرز في تشجيع قدوم الفقهاء والعلماء إلى المنطقة لنشر العقيدة الإسلامية (حسن، 2003،ص149).

كما كان أبناء هذه الممالك يرحلون إلى مصر لتلقي العلم بالأزهر ثم يعودون إلى بلادهم، ومنهم من كان يحج إلى بيت الله الحرام ويأخذ العلم عن أحد فقهائها أو يأخذ الطريقة عن أحد مشائخ الطرق في الحجاز، ومن أمثلة ذلك هجرة بعض أبناء مملكة سنار إلى مصر لطلب العلم أوائل القرن السادس عشر الميلادي ومن بين هؤلاء محمود العركي الذي أخذ العلم عن ناصر الدين اللقاني وأخيه شمس الدين ثم عاد إلى وطنه فأسس سبع عشرة مدرسة، ويعد أول من طبق أحكام الدين الإسلامي في المنطقة (سعد، 2011،ص167). فامتاز القرن السادس الميلادي بازدهار الثقافة الإسلامية في مملكة سنار، حيث رحل عدد من طلاب العلم إلى مصر لطلب العلم ومن بينهم أولاد جابر الذين أخذوا أصول الفقه من شيخ المالكية في مصر محمد البنوفري وعندما رجعوا إلى بلادهم أصبحوا مقصدا لطلاب العلم في أنحاء مختلفة من مملكة الفونج (سعد، 2011،ص198).

وبالمقابل وفد إلى منطقة السودان الشرقي ثلة من العلماء سواء من مصر وغيرها من الدول العربية، فقد قدم إلى مملكة سنار في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري_ الشيخ محمد بن على الكيماني المصري، كذلك من الحجاز قدم أحد أئمة الصوفية_ تاج الدين البغدادي_ كما قدم الشيخ التلسماني المغربي، وتمتع هؤلاء المشائخ بنفوذ واسع في مملكة سنار، وأقطعوا الإقطاعات، ولم يرد لهم طلب، الأمر الذي شجعهم على الإقامة في هذه البلاد ونشر الدين والثقافة الإسلامية (عابدين، 1995،ص58).

ويمكن القول أن الإنجازات الثقافية والفكرية والعلمية خاصة في هذه الفترة كانت محدودة. والمهم في الأمر أن استيعاب شعوب السودان الشرقي للإسلام أدى إلى خلق نوع من التماسك والترابط وإيجاد وحدة وطنية وسياسية ثابتة بين تلك الممالك.

كما كان لمملكتي تقلى وكردفان أيضاً أثر كبير في نشر العقيدة الإسلامية والثقافة العربية في تلك المنطقة، فنشأتها تمثل مرحلة هامة من مراحل انتقال النفوذ الإسلامي الذي بدأ بقيام إمارة العمري في الصحراء الشرقية، وزعامة بني كنز في أرض المريس ثم أخذ يمتد تدريجاً نحو الجنوب حتى نتج عنه قيام هاتين المملكتين (فهد، 2002،ص71).

ختاماً، يمكن القول بأن الإسلام كان عنصراً محورياً في تشكيل الهوية الثقافية لسودان وادي النيل، كما أن التجار قد أسهموا بشكل كبير في نقل المعرفة عبر الطرق التجارية وساهموا في ادخال المعارف واللغات، مما أثرى الموروث الثقافي للمنطقة، أما الدور الذي لعبه العلماء فكان في تأسيس المدارس والمساجد التي كانت مراكز إشعاع ثقافي، فهذا الترابط بين التجارة

والتعليم شكل الدعامة الأساسية لنشر الثقافة العربية الإسلامية في سودان وادي النيل، كما ساهم في تعزيز الهوية الثقافية.

الخاتمة:

من خلال ما سبق عرضه لموضوع انتشار الإسلام في بلاد النوبة ودوره في تشكيل الهوية الثقافية لسودان وادي النيل، تم التوصل إلى النتائج التالية:

1. أظهر البحث أن نجاح الدعوة إلى الإسلام وانتشاره في سودان وادي النيل (بلاد النوبة) على يد التجار والمعلمين والفقهاء المسلمين، يعود إلى أن الإسلام دين سماوي نادى بالعدالة والمساواة والتسامح الديني؛ فهذه المبادئ لاقت قبولاً لدى القبائل الأفريقية.
2. أشار البحث إلى أن معاهدة البقط قد ظلت تمثل الركن الأساسي في مسار العلاقات بين بلاد النوبة والسلطات الإسلامية، وفي فترة سريانها تسربت المؤثرات الإسلامية بشكل سلمي.
3. إن سموا المستوى الثقافي والأخلاقي والعقلي للمسلم الذي كان يمثل الذروة بالنسبة للقيم الوثنية المتداعية التي لم تشكل حاجزاً حقيقياً أمام انتشار الإسلام.
4. أفاد البحث بأن القبائل العربية التي هاجرت واستقرت في منطقة سودان وادي النيل وكانت أداة لنشر الثقافة العربية الإسلامية، والتي شكلت جزءاً أساسياً من الهوية الثقافية الجديدة لبلاد النوبة نتج عنه ظهور تقاليد وأنظمة جديدة مع الحفاظ على تراثها الذي لا يتعارض مع العقيدة الإسلامية.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

1. ابن بطوطة، شمس الدين محمد، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت، 1964.
2. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1956.
3. ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، القاهرة، د.ت.
4. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج3، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1979.
5. القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1987.
6. المسعودي، علي بن الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، دار الأندلس، بيروت،١٩٨١.
7. المقريزي، تقي الدين أبو العباس، المواعظ والإعتبار،ج١، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٥٩.

ثانياً: المراجع:

1. الأمين، عبد الله عبد الرحمن، اللغة العربية في السودان، ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967.
2. الجمل، شوقي عطاالله وآخرون، تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم، القاهرة، 1994.
3. أمين، محمد محمد، العبد لاب وسقوط مملكة علوة، القاهرة، 1975.
4. أمين، محمد محمد، تطور العلاقات العربية الأفريقة في العصور الوسطى، دار المعارف، القاهرة، 1975.
5. حسن، حسن إبراهيم، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، القاهرة، 1980.
6. حسن، حسن إبراهيم، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، القاهرة، 1957.
7. حسن، يوسف فضل، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي 1450_1821م، سوداتك المحدودة، الخرطوم، ط4، 2003.

8. سعد، مصطفى محمد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2011.

9. شبيكة، مكي، السودان عبر القرون، دار الثقافة، بيروت، 1964.

10. ضيدان، حميد دولاب، الجدور التاريخية للصلات العربية الأفريقية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، سبها، 1993.

11. عابدين، عبد المجيد، تاريخ الثقافة العربية في السودان، دار المعرفة للنشر، السودان، 1995.

12. عوض، محمد محمد، السودان الشمالي ووادي النيل، القاهرة، 1951.

13. فهد، بدري محمد، الصلات بين العرب وأفريقيا (الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية)، دار المناهج، عمان، 2002.

14. محمود، حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، القاهرة، 1958.